جامعة المنصورة
كليـة الآداب

مصائر الكتب والمكتبات في الحواضر العراقية عبر التاريخ الإسلامي (٤١ هـ / ٦٦٢ م _ ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (البصرة – بغداد – الكوفة) نموذجاً

إعـــداد

حسين جسام محمد الخفاجي

باحث لدرجة الماجستير في الآداب

قسم وثائق ومكتبات ومعلومات

إشـــــراف

أ.د. علاء عبد الستار مغاوري

أستاذ علم المكتبات والمعلومات المساعد

ورئيس قسم الوثائق والمكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة المنصورة

د / أشرف منصور رداد

مدرس الوثائق والمكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الثامن والخمسون – يناير ٢٠١٦

مصائر الكتب والمكتبات في الحواضر العراقية عبر التاريخ الإسلامي (٤١ هـ / ٦٦٢ م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (البصرة – بغداد – الكوفة) نموذجاً

حسين حسام محمد الخفاجي

ملخص البحث:

قام الباحث بعمل دراسة بعنوان " مصائر الكتب والمكتبات في الحواضر العراقية عبر التاريخ الإسلامي (٤١ هـ / ٦٦٢ م _ ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (البصرة – بغداد – الكوفة) نموذجاً " بهدف التعرف على الكتب والمكتبات الموجودة في البصرة وبغداد والكوفة عبر التاريخ الإسلامي .

وللإجابة على فروض البحث قام الباحث باستخدام المنهج التاريخي لوصف الكتب والمكتبات الاسلامية فى بغداد والبصرة والكوفة .

وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة طردية بين احوال المجتمع والمكتبات فقد تبين ان الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والنشاط الاجتماعي والتقدم العلمي ، كان له انعكاساته الطيبة وتأثيره الايجابي على تقدم النهضة المكتبية . وأيضا تم تدمير معظم المكتبات العراقية بواسطة الحروب التي كانت ظاهرة جلية إبيان العصر الأموي والعباسي في العراق . وكذا وجود علاقة طردية بين تطور حال الكتب وحال المكتبات فكلما ازداد ازدهار حركة الكتب والتأليف كلما عاد ذلك على المكتبات بالكثرة والتعداد.

Abstract

The researcher made a study entitled "The destinies of books and libraries in the Iraqi metropolises throughout Islamic history (41 AH / 662 AD _ 656 AH / 1258) (Basra - Baghdad - Kufa) model" to learn about books and libraries in Basra, Baghdad and Kufa throughout Islamic history.

To answer hypotheses, the researcher using the historical method to describe Islamic books and libraries in Baghdad, Basra and Kufa.

The study found a positive relationship between the conditions of society and libraries has been shown that political stability, economic prosperity and social activity and scientific progress, it has implications good and positive impact on the progress of the Renaissance office. And also most of the Iraqi libraries were destroyed by the wars that the phenomenon was evident Abyan Umayyad and Abbasid era in Iraq. As well as a positive relationship between the evolution of the case of books and libraries if the more prosperity movement and authoring books, the more it returned to libraries as often and Census.

مقدمة :

لقد اختلطت نشأة الكتب مع نشأة اللغة من ناحية والفن من ناحية أخرى في المجتمعات التي لم تعرف أي نوع من أنواع الكتابة، كانت المشافهة هي الوسيلة الوحيدة لتبادل الأفكار ، والكل يعرف أن مؤلفي أشهر المؤلفات في التاريخ وهما الألياذة والأوديسة أنشدها المغنون قبل أن تدون بوقت طويل(١)

وكان نسخ الكتب في العصر الإسلامي عملاً مألوفاً بين الناس ، حيث كانوا يجهلون أمر الطباعة التي لم يتوصلوا إليها إلا في المائة والخامسة عشرة للميلاد ، ولقد امتد العمر بفن النسخ مئات سنين من العصور الإسلامية ، وشمل كثيراً من الأقطار التي عرفت بميل أهلها إلي العمل والأدب . ولقد أحرز العراق شهرة بعيدة في فن النسخ في مختلف أدوار تاريخه ، غير أنه بعد الفتح العربي ، ولا سيما في أيام الدولة العباسية ، كان قد بلغ في ذلك مبلغاً لم يدانه فيه أحد تقريباً ، بالنظر إلي سعة التأليف ووفرته حينذاك (٢) .

ولا يستبعد وجود خزائن للكتب الدينية في مساجد الكوفة والبصرة والموصل بالنظرة لندرة المعلومات حول تلك الخزائن قبل عام ١٤٥ هـ . وفي الكوفة وجد في مسجدها الكبيرة خزانة للكتب احتوت على نسخ خطية عديدة للقرآن الكريم والسيرة النبوية ، كتبت على سعف النخيل والرق قبل استعمال الورق .

وقد تطور في الكوفة أنواع الخطوط العربية الجميلة أشهرها الخط الكوفي الذي استعمل في استنساخ المخطوطات وتزيين أغلفتها فضلاً عن خطوط أخري انتشرت في العراق مثل النسخي والتعليق وغيرهما وذلك خلال العصر العباسي الأول(٣).

واهتم الحكام بالمكتبات وأدواتها حيث أفاض القلقشندي في ذكر أدوات الكتابة وصفة كل منها ، وكلامه عليها من أنفس ما وقفنا عليه في المراجع القديمة وأوناها بالمرام (٤). ومن أهم ما

وصفه من أدوات الكتابة " الدواة " ، قال : إنها تصنع من بعض الأخشاب كالآبنوس والساسم والصندل ، أو من بعض المعادن كالنحاس الأصفر والفولاذ . أما عن صناعة الورق فقد انتشرت في كثير من بلدان الاسلام . وأول معامل الكاغد أنشئت في سمر قند ، وكانت تنتج نوعاً نفيساً منه ، عرف بالكاغد السمر قندي(٥) . ثم أنشئت له معامل في بغداد ودمشق وطرابلس الشام وشاطبة (في الأندلس) وغيرها من البلدان . ولا مراء أن في كثرة هاتيك المعامل ووفرة ما كان يكتب من مجلدات ، دليلاً على أن بيع الورق كان تجارة رابحة ناجحة . وكلما كثر ما تنتجه المعامل من كاغد ، كثرت الكتب تبعاً لذلك ، وازداد انتشارها .

وزاد أهمية دور الكتب باتساع المدارس العلمية في أنحاء مدن العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجري بدءاً بمدرسة مشهد أبي حذيفة (٤٥٩ ه / ١٠٦٦ م) وانتهاء بالمدرسة المستنصرية (٦٣١ ه / ١٢٣٣ م) التي كانت قمة التطور في المدارس العلمية في العراق ، ولقد زاد عددها على ٨٧ مدرسة كما أحصاها الباحث الأستاذ عماد عبد السلام وأنها توزعت في مدن بغداد والموصل والبصرة وأربيل وواسط (٦).

وكان هناك أيضاً فن تجليد الكتب ، ولسنا نغالي إذا ما قلنا ، إن هذا الفن قد بلغ الذروة من الاتقان في عصور الإسلام . ولم يكن المراد من تجليد الكتاب صيانته داخل جلد فحسب ، بل كان يراد من الجلد ذاته أن يكون في بعض الأحيان قطعة طريفة يبدو عليها أثر الفن والذوق. ولقد كان تجليد الكتب في بدء أمره ساذجاً ، شأنه في ذلك شأن كل حرفة في أطوارها الأولى . وكان المجلدون قليلي التفنن في عملهم . قال ابن النديم في هذا الشأن : " وكانت الكتب في جلود دباغ النورة وهي شديدة الجفاف ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين" .

ولقد أدى ابتعاد العرب المسلمين عن فن التصوير إلى العناية بفنون الخط وزخرفة المخطوطات بالرسوم المذهبة والتزويق والأشكال الصغيرة ورسم الحروف والهوامش وتنميقها بالدوائر والخطوط والأوراق الشجرية وتلوينها (٧).

مشكلة الدراسة

تدهورت معظم المكتبات والكتب فى العراق ما بين الإهمال والتدمير عبر الأحداث المتلاحقة التى مر بها العراق، مما أدى إلى تراجع الثقافة الإسلامية، بسبب تراجع دور الكتب والمكتبات والاهتمام بها، فبات من الضروري إلقاء الضوء بصفة عامة على نماذج من الكتب والمكتبات عبر التاريخ الإسلامي (الأموي والعباسي) فى الحواضر العراقية القديمة لتكون دافعاً لإعادة النهوض بالكتب والمكتبات.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أن الكتب تمثل مجالاً حيوياً فى التاريخ الإسلامي، إذ يذكر الإمام الشيرازي، في كتابه "الكتاب من لوازم الحياة" أن الأمم الحيّة دائماً تهتم بالكتاب كلّ الاهتمام، بينما الأمم الميتة لا تهتم به أي اهتمام، (٨) ومن ثم فإن أي أمة تتجاهل الكتب فإنها تعد أمة ميتة.

إن تاريخ الكتب عند المسلمين مهم جدا وأساسي لمعرفة تطور المعرفة الإنسانية عندهم ، ذلك أنه لم تتفوق على المسلمين أمة من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة عامة . والمكتبات من أهم وسائل نشر المعرفة على مدى العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا واسعاً ، وهي وان كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية إلا أنها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت هي نفسها ثمرتها وأن الأطوار التي مرت بها هي أطوار الحضارة الإسلامية بشكل عام . هذا ويعد العصر العباسي عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية وفيه نضجت الحضارة الإسلامية وأينعت وآتت أكلها وزخرت البلاد الإسلامية بالعلماء والتلاميذ والمعاهد والمدارس، وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور إذ تبارى الخلفاء والأمراء والأفراد والوزراء والحكام والسراة في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها ، ونجد في هذا العصر جميع أنواع المكتبات (٩)

هذا وتؤدي المكتبات الإسلامية رسالة حضارية نبيلة، وتحقق الغايات السامية من إنشائها، فكان لها الفضل العظيم في حفظ التراث العربي الإسلامي والتراث العلمي ونشر العلوم والمعارف،

وأنها لعبت دوراً حضارياً كبيراً فقد ساهمت في تنشيط: الحركة الفكرية، نشر الكتب بنسخها، ترجمة كتب وعلوم الثقافات الأخرى الهندية والفارسية و اليونانية، وحفظها كتاريخ للبشرية وإيصاله للأجيال القادمة. كما وأسهمت في تنشيط الحركة العلمية حيث شكلت المكتبات مراصد للفلك وملتقى العلماء والأطباء والرياضيين وغيرهم، وتشبه في دورها آنذاك ما يسمى اليوم بمراكز البحث العلمي.

أهداف الدراسة :

سعت الدراسة الحالية إلي تحقيق ما يلي :

١ – توضيح حال الكتب في العصر الإسلامي وذكر الأسباب التي أدت إلي هلاك تسعة أعشارها .

٢ – إلقاء الضوء على أهم المكتبات في الحواضر العراقية الثالث(البصرة – بغداد – الكوفة) عبر التاريخ الإسلامي (٤١ هـ – ٦٦٢ م / ٦٥٦هـ – ١٢٥٨ م) وتوضيح **المصير الذي آلت إليه هذه المكتبات** وكيف وصلت إلى مرحلة الانهيار .

فروض الدراسة

جاءت فروض الدراسة للتحقق من أهداف الدراسة:

١- حظت المكتبات باهتمام كبير في التاريخ الاسلامى (الاموى والعباسي) فى العراق

٢- تعددت انواع المكتبات في التاريخ الاسلامي(الاموى والعباسي) فى العراق

٣- حظيت إدارة المكتبات وتنظيمها بالإهتمام في الحواضر العراقية الثلاث عبر التاريخ الاسلامى.

حدود الدراسة :

الحدود المكانية :

الحواضر الثلاث العراقية (البصرة – بغداد – الكوفة)

الحدود الزمانية :

العصر الأموي والعصر العباسي(٤١ه/٦٦٢م_٦٥٦ه/١٢٥٨م)

منهج الدراسة

سوف تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي لوصف الكتب والمكتبات الاسلامية في بغداد والبصرة والكوفة، والذى يظهر فيه التاريخ كمنهج موجه للباحث للانتقال من مرحلة الماضى للحاضر، والنظر للمستقبل، وذلك محاولة لاسترداد ما كان فى الماضى عبر تحليل المشكلات التى اثرت على صياغة الحاضر واستشراف المستقبل.

أدوات جمع البيانات :

- **المصادر الاولية** والتى تضمنت المخطوطات والتراجم والسير الذاتية والمعاجم.
- **المصادر الثانوية** والتى تضمنت الانتاج الفكرى العربي الاسلامي والاجنبي عن الكتب والمكتبات عبر التاريخ الاسلامى مع التركيز على الحواضر العراقية القديمة والدوريات والموسوعات .... الخ.

الإطار النظري للدراسة

الجدير بالذكر أن ما وصلنا من الكتب الإسلامية التي نشرت عبر أكثر من عشرة قرون قد لا يربو على ١٠% وقد هلك تسعة أعشارها ولم يصل إلينا لأسباب عديدة من بينها : –

١ – الحروب والغزو الخارجي : ذلك أن الأعداء الذين هجموا على الدولة الإسلامية كان همهم الأول هو القضاء على الفكر الإسلامي ورموزه أي الكتب التي تحمله. وعلى رأس هؤلاء الأعداء المغول والتتار والصليبيون والإسبان . فغارات التتار والمغول بقيادة جنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك كان لها أثرها المدمر تماماً على الكتب الإسلامية في شرقي الدولة الإسلامية ، وعندما اقتحموا بغداد سنة (٦٥٦ ه / ١٢٥٨ م) جمعت الكتب جميعاً وألقي بها في نهر دجلة وأقيم بها جسر عبرت عليه قواتهم واسودت مياه النهر تماماً بسبب أحبارها .

وحرق الكتب هو دأب المنتصرين عموماً إذ يعمدوا إلي قهر فكر المهزوم حتي لا تقوم له قائمة بعد الهزيمة أبداً (١٠)

٢ – الحروب والفتن الداخلية : كانت الدول والدويلات الإسلامية التي انشطرت إليها الدولة العباسية بعد عصر القوة الذي لم يدم لأكثر من قرن من قيام الدولة العباسية ، تتناحر فيما بينها ويغير بعضها على بعض ويسرق بعضها البعض ويحاول بعضها إزهاق المذهب الذي تعتنقه الدولة الأخري .

٣ – اضطهاد المذاهب والمؤلفين : إن من يقرأ تاريخ " الأمم والملوك " للطبري سوف يجد أن بعض مجلداته تكاد تقطر دماً من كثرة ما سرد من حوادث اضطهاد المؤلفين والمذاهب والنقمة التي كانت تصب على مؤلفاتهم وحرق تلك المؤلفات وتصفية المؤلفين أنفسهم . وعلى سبيل المثال فقط لا الحصر الإمام الكبير ابن حزم الأندلسي يقول عنه ابن حجر العسقلاني :

" تعصب عليه فقهاء المالكية بأمراء تلك الديار فمقتوه وآذوه وطردوه وحرقوا كتبه علانية وله في ذلك شعر منه .

إن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي ** تضمنه القرطاس بل هو في صدري

ويقول ابن حجر العسقلاني أيضاً عن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني" أحرقت كتبه لاتهامه بالفلسفة والسحر".

ومن الطريف أن اضطهاد السلطة والناس لفكر المؤلف قد يتم بعد وفاته أيضاً فهذا هو خليل بن عبد الملك المعروف بخليل الفضيلة الذي صودرت كتبه بعد وفاته من السوق والمكتبات وأحرقت إلا ما كان فيها من كتب الفقه .

٤ – حوادث الحريق والغرق قضاءً وقدراً : من الطبيعي – وهذا يحدث في كل أنحاء العالم في كل زمان – أن تحدث حرائق غير مقصودة وأن يفيض الماء وتنهمر السيول في ظل ظروف طبيعية قاسية فتحترق الكتب أو تغرق، والنار والماء عدوان لدودان للكتب وخاصة المصنوعة من الورق . ولقد سجلت المصادر حالات كثيرة من هذا النوع ومن الطبيعي أن مالم يسجل هو أكثر بكثير مما سجل . والحريق والغرق قد يصيبان المكتبات الخاصة كما يصيب المكتبات الرسمية . ومن الأمثلة على المجموعات الرسمية ما حدث لجامع أصفهان الذي احترق سنة (٥٩٥ ه) واحترق معه خمسمائة مصحف ثمينة من بينها مصحف بخط أبي بن كعب(١١) .

ومن الأمثلة علي المجموعات الخاصة التي احترقت أيضاً قضاءً وقدراً مجموعة أحمد بن عبد الوارث الأسواني المتوفي سنة (٣٢١ ه) حيث احترقت جميعها ولم يتبق منها سوى أربعة أجزاء ، ومجموعة عمر بن الحسين الخرقي المتوفي سنة (٣٣٤ ه) الذي خرج من بغداد ووضع كتبه أمانة في درب سليمان فاحترقت الدار التي كانت بها الكتب ، ومجموعة محمد بن علي المادراني المتوفي سنة (٣٤٥ ه) الذي احترقت داره وأتت النار علي كل كتبه ، والعلامة أبو حفص عمر بن علي بن الملقن المتوفي سنة (٨٠٤ ه) الذي أصيب بالذهول واختلال العقل بعد احتراق مجموعة كتبه التي تعب في جمعها .

٥ – دفن وغسل وحرق الكتب : انتشر بين العلماء المسلمين – وغيرهم أحياناً – عادات في غاية الغرابة وسلوكيات غير مفهومة في التعامل مع الكتب ، وهي سلوكيات الإقدام على حرق ودفن وغسل الكتب والتبريرات في ذلك شتي منهم من يلجأ إلي ذلك ضناً بكتبه أن يستفيد منها غيره من بعده ، ومنهم من يخشي أن تقع كتبه في أيدي من يسيئون استخدامها والإساءة إلي العلم الموجود فيها ولا يقدرونه حق قدره . ومنهم من يدرك في نهاية حياته أنه قد تلهى بالكتب عن ذكر الله ومنهم من يمر بضائقة نفسية ويتوهم أن الكتب هي سبب البلبلة الفكرية التي هو عليها . وهكذا تجتمع هذه الأسباب أو بعضها أو أحدها أو أسباب أخري لم نصل إليها علي الكتب فتؤدي بصاحبها بعد أن أفني عمره في جمعها إلي أن يحرقها أو يدفنها تحت الأرض أو يحملها إلي شاطئ النهر أو البحر فيمحو ما بها من علم بغسلها بالماء . والأمثلة في المصادر العربية كثيرة جداً نقتطع منها بعض النصوص فقط ، فهذا هو أحمد بن أبي الحواري يغرق كتبه في نهاية عمره وهذا هو سفيان الثوري يدفن كتبه ، وهذا هو أبو عمرو بن العلاء يغسل كتبه.

٦ – إتلاف كتب الغير لأسباب غير مفهومة: إذا كان بعض العلماء أو أصحاب المجموعات الخاصة يلجأون إلى تدميرها بالغسل أو الدفن أو الإحراق ، فإن بعض الأشخاص حتي المسئولين منهم كان يتلف الكتب لغير ما سبب سوى اشباع حاجة شخصية عنده فهذا هو خازن مكتبة رباط المأمونية في بغداد يتلف كتاباً لمجرد أنه لا يتفق معه في الرأي هو كتاب نقض القرآن لأبي العلاء المعري . وقد أنكر العلامة المبارك بن

الدهان المتوفي سنة (٦١٢ ه) هذا الفعل من جانب الخازن المفروض فيه أن يحافظ على ما بها حتي لو اختلف في الرأي معها.

وهذا هو الأديب النحوي على بن عيسي الربعي المتوفي سنة (٤٢٠ ه) وضع كتاباً كبيراً في شرح كتاب سيبويه فنازعه أحد التجار في مسألة فقام غاضباً وأخذ كتاب سيبويه نفسه وجعله في إناء وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان ويقول لا أجعل أولاد البقالين نحاة.

وهذا هو تقي الدين السبكي يقرأ في كتاب الطرائف أورد فيه صاحبه مسائل لا تعجبه فقام وقطعه قطعاً وغسله (١٢).

٧ – استخدام المخطوطات في تجليد مخطوطات جديدة : من نكد الدنيا على المخطوط العربي القديم أن يستخدمه المجلدون في تجليد مخطوطات أحدث منه ولم يكن ذلك الأمر يأتي عرضاً بل كانت ظاهرة لها خطرها أودت بحياة الآلاف من المخطوطات الثمينة مما جعل شخصاً مثل أحمد بن حنبل يقول عن كتب الواقدي " جعلت ظهائر للكتب " . ويقول السخاوي عن كتب أحمد بن يوسف اليسكري " شرع في جمع تاريخ للرواة لو قدر له أن يبيض لكان مائة جلدة ، جمع منه في مسوداته مالاً يعد ولا يدخل تحت حصر ، ولم يقدر له أن يبيضه ومات فتفرقت مسوداته شذر مذر ولعل أكثرها عمل " بطائن المجلدات "

٨ – العوامل الطبيعية والإهمال : قامت العوامل الطبيعية من حرارة شديدة ورطوبة وسوء نقل وغرق بالتسريع في بلي عدد ضخم من مخطوطاتنا ، وربما كانت هذه العوامل أشد فتكاً بعدد كبير من الكتب أكثر من الحرائق العمدية أو غير العمدية.

٩ – سرقة المخطوطات ونهبها وتهريبها للخارج : تدل مقتنيات كبرى المكتبات الأجنبية على أن قسماً كبيراً من المخطوطات الإسلامية والعربية قد هرب خارج الدولة الإسلامية بطرق مختلفة :

أ – السرقة : حيث خضعت الدول الإسلامية جميعا في فترات مختلفة للإستعمار وقد أدى الاستعمار بطبيعة الحال إلي تسهيل خروج المخطوطات – والآثار – من مكتباتنا وأيضاً من أسواقنا واستقرارها في المكتبات الأجنبية وللأسف الشديد ساهم بعض المسلمين في خروج مخطوطاتهم إلي الخارج .

ب – الشراء : حيث كان التجار الأجانب يأتون أو يساعد التجار الوطنيون في طلب المخطوطات الثمينة وخاصة تلك المتعلقة بالعلوم البحتة والتطبيقية ، فخرج عن طريق الشراء جانب كبير من المخطوطات بثمن بخس.

جـ – الإهداء : يقوم بعض المسئولين بإهداء مخطوطات قيمة إلى زوار وأصدقاء أجانب كما تهدي الآثار أيضاً (١٣).

لقد أدت العوامل المذكورة سابقاً وعوامل أخري لم تذكر إلي ضياع القسط الأكبر من كتبنا ومخطوطاتنا التي ورقت عبر عشرة قرون من الزمان . ومازالت عوادي الزمن والبشر تفعل فعلها في البقية الباقية من هذا التراث .

ولقد حرص الحكام المسلمون سواء في ظل الوحدة الإسلامية الشاملة أو بعد تفتت الإمبراطورية الإسلامية إلي دول ودويلات ، على إنشاء مكتبات ذات طابع قومي أو وطني بمفهوم أيامنا الآن . ولم يكن التفكك السياسي معوقاً لإنشاء هذا النوع من المكتبات بل على العكس أدى إلي إنشاء المزيد منها لحرص كل خليفة أو ملك أو أمير على الظهور بمظهر العالم الحريص علي دفع العلم والحدب على أهله وكان كل منهم يجمع العلماء والأدباء في بلاطة بل ويحاول اجتذابهم من البلاطات الأخري .

ومن الثابت تاريخياً أن المسلمين قد عرفوا مكتبة الإسكندرية القديمة وتأثروا بها سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، كما عرفوا المكتبات الفارسية والمكتبات البيزنطية ولذلك حاول الخلفاء المسلمون بعد أن استقرت الدولة الإسلامية وترامت أطرافها ، إنشاء مكتبات شاملة جامعة تكون غلى غرار مكتبة الإسكندرية القديمة ، ليست مجرد مكان لاختزان واسترجاع الكتب ولكن أيضاً تكون بمثابة الأكاديمية التي يدور فيها البحث والدرس والنقل وإجراء التجارب.

هذا ويعرف عن العراقيين بصورة عامة و البغداديين بصوة خاصة حبهم للقراءة والإطلاع والكتابة مما جعل المجتمع يمنح المتعلمين و الكتب

صفة القداسة . فالمعرفة كانت تستحصل من الكتب و المكتبات التي كانت منتشرة في أنحاء بغداد .

وكانت الوراقة التي تشبه اليوم بعمل المطابع ودور النشر ، حيث تجرى استنساخ الكتاب وتوزيعه وبيعه اعتماداً على أهمية المخطوط وعلى قدرة مؤلفه في معرفة صنوف المعرفة والآداب التي كانت سائدة في ذلك العصر ، فكانت الوراقة حرفة محترمة ووظيفتها ذات أبعاد مختلفة لا تقتصر على نسخ الكتب وتصحيحها أو تجليدها وإنما الاتجار بها أو كما حددها الباحث المعروف كوركيس عواد بأربعة جوانب هي :

الأول: النسخ وما يتبعه من تزويق وتصوير وتذهيب.

الثاني: بيع الورق وسائر أدوات الكتابة من أقلام وأحبار وغير ذلك .

الثالث : تجليد الكتب .

الرابع : بيع الكتب (١٤) .

وعندما نتكلم عن مصائر المكتبات في العراق لابد لنا من التحدث عن أشهر المكتبات في العراق ومنها مكتبة " آشوربانيبال" التي تعرضت للهدم فعندما غزا الكلدانيون مدينة " نينوي " سنة (٦١٢ ق.م) قاموا بهدم قصر الملك آشوربانيبال وأشعلوا النيران فيه ولم يهتموا بالمكتبة التي جمع فيها الملك نحو خمسة وعشرين ألفاً من الألواح الطينية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي تم اكتشاف هذا القصر بواسطة عالم الآثار " هنري رولنسون " ووجد فيه واحد وعشرين ألفاً من الألواح الطينية ولم تتأثر هذه الألواح بالنيران بل خرجت سالمة من الكارثة ، وعلى كل لوح ختم ملكية مسجل عليه " قصر آشوربانيبال ملك العالم " ، وتم نقل هذه الألواح إلى المتحف البريطاني في لندن.(١٥)

ومن أشهر المكتبات العراقية القديمة في الحواضر الثلاث التي تعرضت للانهيار(١٦):

١ – مكتبة " **الوركاء** " في جنوب العراق ، وكانت تضم وثائق قانونية وإدارية وصلوت وأدعية .

٢ – مكتبة " **تل حرمل** " بشرق بغداد ، تم اكتشافها عام ١٩٤٥ م بواسطة علماء الآثار العراقيين ، ونقلت محتوياتها إلي المتحف العراقي ببغداد .

٣ – مكتبة " **المدائن أو قطيسفون** " وكانت تخدم الفرس الساسانيين في العراق .

٤ – مكتبة " بيت الحكمة " (١٧):

الحقيقة أن بدايات هذه المكتبة غير معروفة لنا على وجه الدقة واليقين ذلك أن مصطلح بيت الحكمة لم يكن اسم علم بقدر ما كان اسم فئة يطلق على المكتبات الكبيرة عموماً في كل زمان وكل مكان وقد استخدمه العرب والمسلمون بالنسبة للمكتبات المصرية القديمة ومكتبات الفرس ومكتبات اليونان والرومان والمكتبات الإسلامية على وجه الإطلاق . وكثيراً ما يتردد اسم بيت الحكمة في المصادر العربية الأولى بغير تحديد فنعتقد أنه ينصرف إلى بين الحكمة في بغداد ونفاجأ بأنه يبعد عن زمن تلك المكتبة أو عن مكانها . ويشير الدكتور يوسف العش في بحثه عن " دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط " إلى أن أول بيت من بيوت الحكمة عرفناه كان لمعاوية الأول (إبن أبو سفيان) استناداً إلي المناظرة التي جرت بين سعيد الدارمى (٢٠٠ ه – ٢٨٠ ه / ٨١٥ م / ٨٩٥ م) وبين بشر المريسي (ت ٢١٨ ه / ٨٣٣ م) حيث يقول الدارمي في هذه المناظرة " وادعى المعارض أيضاً أنه سمع أبا الصلت يذكر أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان بيت يسمي بين الحكمة ، فكلما وجد حديثاً ألقاه فيه ، ثم رويت بعد " . وتؤكد رواية الدارمي عن بين الحكمة الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان ، رواية للمسعودي في مروج الذهب يقول فيها عن معاوية يصف ما يقوم به من أعمال في يومه : " ينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد ويحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها " وقد سبق أن أشرت إلي أن معاوية كان أول من طلب تدوين التواريخ والسير ومن ثم تكون عملية إنشاء تلك المكتبة صحيحة ،لأنها ثمرة مؤكدة لجمع الكتب وتنظيمها ونسخها (١٨).

ويبدو أن هذه المكتبة قد آلت مع القصر إلي خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد نماها خالد وحولها إلي مكان للدرس والبحث بعد أن خاب أمله في الخلافة . وتذكر بعد المصادر أن خالداً قد باع القصر والمكتبة إلي عبد الملك بن مروان في نحو سنة٦٥ ه /٦٨٤م).

ويختفي اسم بيت الحكمة بعد ذلك ، وربما أطلق على المكتبة الرسمية اسم آخر مثل خزانة الكتب ، أو بيت الكتب ، أو دار الكتب . ذلك أنه في عهد الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ ه / ٧١٤ م) نصادف نصوصاً عن وجود مكتبة رسمية مكتملة الأركان والأداء فكان لها خازن (أمين مكتبة) وناسخ ماهر . وقد لقب الخازن في هذه المكتبة باسم (سعد المصاحفي) وفي مواضع أخرى (سعد صاحب المصاحف) .

والسؤال الذي يطرح نفسه وبشدة في هذا الصدد هو هل آلت مكتبة الدولة الأموية بعد سقوطها في أيدي العباسيين (١٣٢ ه / ٧٤٩ م) إلي الدولة العباسية ؟ أم أن العباسيين قد أنشأوا بين الحكمة ببغداد عملاً مستقلاً تم بمعزل عن المكتبة الأموية وكيف كان مصير هذه المكتبة في أيدي الدولة العباسية ؟ .

الحقيقة أنني أميل إلى أن العباسيين قد استولوا فيما استولوا على مكتبة الدولة الأموية وكانت هذه المكتبة هي نواة بيت الحكمة العباسي الذي جاء امتداداً لها ، وإن كان قد حدث فيه توسع عظيم واكب حركة التدوين والتأليف والنقل التي جاءت بها الدولة العباسية ، تلك الحركة التي بدأت مع الخليفة العباسي الثاني المنصور بعد أن استتب الأمر للعباسيين ، فمن الثابت أنه كانت للمنصور مكتبة يترجم لها خصيصاً ويؤلف لها خصيصاً فقد ترجمت له الكتب من اللغات اليونانية والرومية ، والفهلوية والفارسية والسريانية .

ويرد ذكر المكتبة أيضاً في زمن المهدي بن المنصور الذي عين بعض المنجمين (رجال الفلك) في المكتبة على رأسهم توفيل بن توما الرهاوي الذي كان رئيساً لبيت الحكمة في نفس الوقت الذي رأس فيه المنجمين . وكان المهدي مثل أبيه المنصور يشجع الترجمة من اللغات المختلفة إلي العربية كما كان يشجع التأليف بالعربية في موضوعات مختلفة ، حتي الموضوعات الدقيقة مثل تربية الطيور .

ومن الطبيعي أن تنتهي مكتبة المهدي إلي هارون الرشيد الذي يميل المؤرخون إلى أنه مؤسس " بيت الحكمة " (١٩) ويبدو في نظرنا أنه هو الذي حول المكتبة من مكتبة قصر إلي مكتبة للدولة وجعلها أكاديمية متعددة الأغراض ، وتوسعت في عهده وعهد ابنه المأمون توسعاً عظيماً جعل شهرتها تطبق الآفاق ، وهناك من الشواهد ما يؤكد أن هذه المكتبة قد استمرت في الوجود حتي منتصف القرن السابع الهجري حين لقيت مصيرها المأساوي على يد التتار حرقاً وإغراقاً في نهر دجلة .

ومن المشاكل التي تصادفنا عند التأريخ لهذه المكتبة أننا لا نملك صورة كاملة عنها من حيث الإدارة والهيكل التنظيمي والمجموعات والتزويد والخدمات ، لأن المعلومات حول هذه المحاور تأتي عرضاً وبشكل اعتباطي غير مقصود وهي مبعثرة في عدد ضخم من المصادر ولا ينظمها سياق لذلك سوف نحاول أن نوضح فيما بينها لنخرج بصورة أقرب ما تكون إلي حقيقة ما كان عليه واقع تلك المؤسسة في زمن ازدهارها على الأقل أيام هارون الرشيد وابنه المأمون .

فمن حيث التنظيم الإداري للمكتبة ، نريد التأكيد على أنها لم تكن – على الأقل في ذلك الوقت – مجرد مكتبة بل كانت أكاديمية تحتذى مكتبة الإسكندرية القديمة التي لا أشك أنها تأثرت بها . وبالتالي فإن هذه الأكاديمية لابد وأنها كانت تنقسم إلي عدة أقسام أو إدارات هي :

أ – قسم المكتبة .

ب – قسم النقل (الترجمة) .

جـ – قسم البحث والتأليف .

د – قسم النسخ والتجليد .

وربما كان **قسم المكتبة** هو المنوط به اقتناء الكتب من كل حدب وصوب وتنظيمها على الرفوف (خزانات الكتب أو بيوت الكتب) ومناولتها لمن يطلبها . وكان **قسم النقل** منوطاً به ترجمة الكتب من اللغات المختلفة إلي اللغة العربية وربما أحياناً من العربية إلى لغات أخري . وكان يعين في هذا القسم نقلة يختلفون من الناحية العلمية والإدارية عن الخزنة الذين يعينون في قسم المكتبة . أما **قسم البحث** والتأليف فقد كان فيه باحثون ومؤلفون وربما كان فيه المنجمون الفلكيون الذين يستعين بهم الخليفة في استطلاع الظروف المواتية للحرب والقيام بالمشروعات . وعلماء الحيل الذين يعدون آلات هندسية وما إلي ذلك . و**قسم النسخ والتجليد** كان يناط به بطبيعة الحال استنساخ الكتب وتجليدها وربما ترميم ما يفسد مما هو موجود بالفعل .

اما عن إدارة بيت الحكمة فقد تعاقب عليه عدد من المديرين العلماء وقد رأينا منذ العصر الأموي كان يطلق على المدير لقب (صاحب) فكان مدير بيت الحكمة يسمي صاحب بيت الحكمة وهو لقب عام كان يطلق على رئيس أو مدير أية مؤسسة مثل " صاحب البيمارستان " و " صاحب بيت الضرب " و " صاحب بيت المال " و " صاحب الديوان " و " صاحب الأرصاد " وهكذا . وربما كان يطلق على الموظف العادي في المكتبة ممن ليس مديراً اسم (الخازن) ونادراً ما كان لقب خازن مرادفاً للقب صاحب ، لأنه أقل منه في الدرجة.

وهناك إحساس عام نخرج به من نتف متناثرة من المصادر بأن أول مدير (صاحب) لبيت الحكمة هو سهل بن هارون الفارسي . يذكر عنه القفطى أنه فارسي الأصل مذكور مشهور من أئمة المتكلمين ... كان في زمن هارون الرشيد وولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقل من الفارسي إلي العربي ما يجده من الحكمة الفارسية ومعوله في علمه وكتبه على كتب الفرس . ومن الواضح أن القفطي قد نقل هذا النص عن الفهرست لابن النديم نقلاً حرفياً. وقد استقر هذا الرجل عندما جاء من بلاد فارس في البصرة حيث تعرف على وزير الرشيد (يحي بن خالد البرمكي) فلزمه أميناً لسره ثم خلفه وصار صاحب دواوين الدولة ، وقد أبعد بعد ذلك . وفي زمن المأمون اكتسب عطف الفضل بن سهل وزير الخليفة ولم يعين مباشرة صاحباً لبيت الحكمة ولكن بعد حيث من تولي المأمون الخلافة وانتقاله إلي بغداد من خوارزم .

وكان يعاون سهل بن هارون في هذا المنصب شخص آخر هو سعيد بن هارون الملقب بابن هريم . ويقال أنه كان فصيحاً بليغاً مترسلاً أخذ عنه الجاحظ .

أما الشخص الثالث الذي ورد ذكره كمدير لبيت الحكمة فهو سلم (أو سلمان) الحراني وهو من حران . وربما يكون قد عمل صاحباً لبيت الحكمة بعد سهل بن هارون أو في نفس الوقت معه . ويذكر الدكتور يوسف العش أنه ربما يكون قد عمل بالمكتبة زمن هارون الرشيد ، وربما يكون في عداد الفريق الذي بعث به إلي بلاد الروم للبحث عن الكتب اليونانية وجلبها إلي المكتبة .

أما الاسم الرابع الذي وصلنا كمدير للمكتبة هو أحمد بن محمد والمعلومات عنه محدودة مبعثرة ، ولكنها تشير إلى اشتغاله بالحديث والرواية عنه ، وروايته عن الآخرين .

ويرد اسم الحسن بن مرار الضبى المعروف بالصنوبري كمدير للمكتبة أيضاً ولكن المعلومات عنه محدودة متناثرة ، لا تشكل صورة متكاملة عنه ولا عن مكانته ودوره في المكتبة ، إذ وصلتنا أسماء خمسة من المديرين هم علي النحو الآتي :

- سهل بن هارون
- سعيد بن هارون (ابن هريم)
- سلم (سلمان) الحراني
- أحمد بن محمد
- الحسن بن مرار الضبى (الصنويري)

لقد ساهمت مكتبة بيت الحكمة مساهمة مباشرة في تطوير العلوم سواء علوم الطب أو الكيمياء أو الفلك وكانت التجارب العلمية والبحوث العملية تجري هناك على قدم وساق .

ولعله من نافلة القول أن نذكر بأنه كانت هناك خدمات الاطلاع الداخلي والإعارة وتسهيلات الاستنساخ مثل تقديم القرطاسية والأقلام والأحبار لمن يريد بالمجان ، يضاف إلي ذلك خدمات الإقامة والضيافة للعلماء والباحثين والقراء الذين يحتاجون إلي الإقامة لفترة وخاصة هؤلاء العلماء الذين يأتون من بعيد للاطلاع والاستنساخ .

ولقد كان مصير هذه المكتبة مفزعاً ثم مأساوياً بعد ذلك ، إذ أنه بمجرد انقضاء عهد المأمون وتولي المعتصم الخلافة أهمل بيت الحكمة في بغداد لأن المعتصم نقل مقر الخلافة منها إلى سامرا (سر من رأى) وتحول إلي مجرد مكتبة عادية توقفت عن النمو والازدهار ، ولإهمالها وعدم أهميتها أصبح يشار إليها باسم خزانة كتب المأمون حتي نهاية القرن الرابع الهجري وقد أشار اليها ابن النديم في الفهرست حيث كانت ما تزال قائمة وربما تكون قد أخذت في التجمد وضمت إلي مكتبات القصور ، وربما يكون السلاجقة قد نالوا منها بعد قضائهم على المعتزلة والفكر والمعتزلي الذي اعتنقه المأمون . ولكن يغلب على الرأي أنها استمرت حتي منتصف القرن السابع الهجر حيث قضي التتار عليها وعلى غيرها من المكتبات في شرقي العالم الإسلامي ومن ثم أطفئت الشعلة التي ظلت مشتعلة خمسة قرون كاملة وأسدل الستار على واحدة من أعظم مكتبات العصور الوسطي .

٥ – مكتبة ابن سوار في البصرة(٢٠):

ذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم الذي ألفه سنة (٣٧٥ه / ٩٨٥م) مكتبة أسماها مكتبة ابن سوار عند حديثه عن مدينة البصرة فقال ما نصه "

اتخذها ابن سوار وفيها اجراء على من قصدها ولزم القراءة والنسخ ، وفيها شيخ يدرس عليه الكلام على مذاهب المعتزلة " . وقد ورد ذكر هذه المكتبة في فهرست ابن النديم باسم (خزانة الوقف) والمقدسي يسميها دار الكتب .

وربما كانت هذه المكتبة العامة هي أول مكتبة توقف بعد أن أقر مشايخ المسلمين عملية وقف الكتب بعد الجدل العنيف الذي ثار حول هذه العملية . والذي أوقفها هو أبو على بن سوار الكاتب كان معاصرا لابن النديم في القرن الرابع الهجري ولكنا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً . وإن كانت قد وردت في المصادر بعض نتف من المعلومات عنها ، وخاصة فيما يتعلق بمصيرها . فقد قال عنها ابن الأثير (توفي ٦٣٠ ه) ونقل عنه بدر الدين العيني (المتوفي ٨٥٥ ه) أن منجماً سارقاً حرض أحد شيوخ القبائل التي تنزل قرب البصرة وحثه بالإغارة على المكتبة فهاجمها ودخلها وأخذت قبيلته في نهبها وحرقها . وقد أشار عضد الدولة البويهي نفسه إلي هذه المكتبة وقال عنها هذه مكرمة سبقنا إليها وهذه أول دار وقفت في الإسلام . كما أشار إليها ابن الجوزي (ت ٥٩٧ ه / ١٢٠٠ م) وقال إن الذي أحرقها أثناء الإغارة على البصرة هو المنجم تليا وأنها قد أنشئت قبيل عضد الدولة وأنها أول مكتبة موقوفة في الإسلام ، كما ألمح إليها ابن كثير (ت ٧٧٤ ه / ١٣٧٣ م) فقال عنها إن هذه المكتبة الموقوفة لم يكن لها مثيل في الإسلام .

٦ – مكتبة سابور بن أردشير في بغداد (٢١):

كان سابور بن أردشير وزيرا لبهاء الدولة البويهي ، وقد أسس هذه المكتبة وأوقفها على الناس سنة ٣٨٢ ه بالكرخ في بغداد ، وسماها بدار العلم وقد نقل إليها كتباً كثيرة . ويعتبر حي الكرخ آنذاك المركز الثقافي بالمدينة وهو أحد الأحياء الكبيرة المزدحمة بالسكان وقد احتل المكانة الأولى بين أحياء المدينة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حيث كان العلماء يجتمعون فيه ويمارسون نشاطهم وفي هذا الحي جزء من أحسن أجزاء بغداد .

وفي سنة (٣١٨ ه / ٩٩١م) اشتري داراً وعمرها وأمر بتبليطها بالرخام وطلائها بالكلس . وسماها دار العلم وأوقفها على أهله ونقل إليها كتباً من أفضل ما نسخ الخطاطون وكبار العلماء ، ابتاعها وجمعها وبلغت مجموعاتها فيما يقال عشرة آلاف مجلد وأربعمائة ، منها مائة نسخة من المصاحف بخطوط على بن مقلة وسائر أفراد أسرته من الخطاطين المشاهير . وقد ورد اسم هذه المكتبة في المصادر بصيغتين مختلفتين فان الأثير يذكرها باسم خزانة الكتب، وياقوت وابن تغرى بردي وغيرهما يسمونها (دار العلم) . وقد أوقف سابور بن أردشير عليها أوقافاً كثيرة مجزية للإنفاق علي المكتبة . كما كان العلماء والمؤلفون يقدمون لها من مؤلفاتهم وكتبهم ما جعل المجموعات في زيادة مستمرة على نحو ما فعل الطبيب المشهور جبرائيل بن بختيشوع الذي قدم لها كتاباً من خمسة مجلدات ألفه خصيصاً لها بعنوان الكناش (توفى جبرائيل سنة ٣٩٦ ه) . وكذلك فعل أحمد بن على بن خيران الكتاب (توفى ابن خيران سنة ٤٣١ ه) صاحب ديوان الإنشاء في مصر حين أرسل جزأين من شعره ورسائله ليرى إن لقى القبول يرسل ببقية الأجزاء.

وكان أبو العلاء المعرى من الشخصيات الشهيرة التي ارتحلت إلي بغداد للاستفادة من مجموعات هذه المكتبة . وقد كتب فيها شعراً ونثراً حيث بقى يتردد على هذه المكتبة عاماً وأكثر فيقول " وأحلف ما سافرت استكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال ولكن آثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه " . ويقول شعراً في:

شغفاً بدار العلم فيك وقلبه
ما زال ربعاً للعلوم وداراً

وقد جادت علينا المصادر بأسماء عدد ممن أشرفوا على المكتبة أو عملوا بها كخازنين (أمناء) أو مجرد مناولين :

المشرفون :

- الشريف أبو الحسين أو أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبي شيبة (وفي مصادر أخرى ابن أبي شبية ، ابن أبي سنية) .
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسنى البطحاني .
- أبو عبد الله الحسين بن هارون الضبى .

وكان ثلاثتهم في حياة سابور واقف المكتبة .وبعد وفاته عين آخر هو :

الشريف المرتضي : أبو القاسم على بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦ ه).

الخزنة :

- أبو محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٤٠٣ ه)
- أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري (لقب الواجكا ت ٤٠٥ ه)
- أبو منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب (ت ٤١٨ ه)
- أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد.
- يوسف يعقوب بن سليمان الإسفراييني(ت ٤٨٨ ه)

المناولون

ذكر المعري في رسالة الغفران اسم سيدة كانت تعمل في هذه المكتبة ويبدو أنه خصها بالاسم لأنها أنثي ولا نشك أنه كان هناك مناولون غيرها لم يرد لم ذكر في المصادر المختلفة . هذه المناولة اسمها " توفيق السوداء " كانت تخرج الكتب من الخزائن لتقدمها إلي النساخ والقراء يوم كان أبو منصور محمد بن علي خازناً . ونص أبي العلاء حول توفيق السوداء يسير على النحو التالي:

" وتقول الأخرى : أتدري من أنا يا علي بن منصور ؟ أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن ، وكنت أخرج الكتب إلي النساخ ، فيقول لا إله إلا الله ، لقد كنت سوداء فصرت أنصع من الكافور .... فتقول أتعجب من هذا والشاعر يقول لبعض المخلوقين :

لو أن من نوره مثقال خردلة ****** في السود كلهم لابيضت السود

ولقد لعبت هذه المكتبة دوراً بارزاً في الخدمة المكتبية للعلماء والباحثين والقراء من كل حدب وصوب ، وقدمت لهم القرطاسية إن احتاجوا إليها ، طوال نحو قرنين من الزمان ، حيث احترقت سنة (٤٥١ ه) .

ويقال أن النار اشتعلت فيها سواء عن قصد أو بغير قصد في المكتبة . ومن الطريف أن الوزير عميد الملك الكندري وزير طغربك أمر بإخماد الحريق وطرد الدهماء الذين كانوا ينهبون المكتبة تحت ستار الحريق ، وبدلاً من أن يرد إليها ما نهبوه ، أخذ ينتقي هو أفضل ما نجا من الحريق والسلب والنهب وأخذه لنفسه وأرسله إلي بلده خرسان .

وهكذا اندثرت المكتبة وخرجت من الوجود واحدة من أجمل وأغنى المكتبات العامة الإسلامية .

٧- مكتبة الشريف الرضى ببغداد (٢٢):

أنشأها الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩ – ٤٠٦ ه) وقد عاصرت هذه المكتبة ، مكتبة سابور بن أردشير . وقد أوقف الشريف الرضى فيها مجموعة كبيرة من الكتب على طلاب العلم . وكان ينفق بسعة عليها ويقدم القرطاسية مجاناً للمحتاجين . ولا نعرف شيئاً كثيراً يقينياً عن مصير هذه المكتبة ربما يكون الحريق والسلب والنهب مثلما حدث في مكتبة سابور سابقة الذكر .

٨- مكتبة ابن أبي البقاء في البصرة (٢٣):

يقال إنها أول مكتبة عامة توقف في البصرة ، وأقفها أبو الفرج بن أبي البقاء البصري وهو محمد بن عبيد الله بن الحسن المتوفي سنة (٤٩٩ ه / ١١٠٥ م) وكان أديباً فقيهاً: " أعلم الناس بالعربية " . قال عنها شمس الدين الذهبي ما نصه " ودار العلم بالبصرة في غاية الحسن والزخرفة ووقف بها اثني عشر ألف مجلد " . وقد تفوق مكتبة سابور ببغداد كما نرى .

٩- مكتبة ابن المارستانية في بغداد (٢٤):

ابن المارستانية هو عبيد الله بن علي بن نصر (٥٤١ ه – ٥٩٩ ه) فيه حنبلي قرأ كثيراً في الأدب والطب والمنطق والفلسفة ، كان جماعاً للكتب ، نسخ كثيراً من الكتب بخطه وحصل نسخ الأصول . بني في بغداد ، في درب الشاكرية مكتبة سماها دار العلم أوقفها على طلاب العلم . وقد رتب لها ناظراً . ولسبب أو لآخر قبض على ابن المارستانية وسجن مع المجانين . ويقال إن المكتبة بيعت مع سائر أملاكه .

١٠ – مكتبة غرس النعمة في بغداد (٢٥):

وقفها أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن أبي الصابئ المعروف بغرس النعمة عام (٤٥٢ه / ١٠٦٠م) . ويقال إن السبب في ذلك هو احتراق مكتبة سابور بن أردشير فخاف غرس النعمة من زوال العلم فأوقف هذه المكتبة التي ابتني لها بناءً خاصاً بشارع ابن أبي عرف من غربي بغداد . وقيل أن عدد الكتب فيها بلغ ألفاً فقط وقيل أربعة آلاف في مصادر أخري ، وقال آخرون بل أربعمائة كتاب فقط . ويغلب على الظن أنها كانت بضعة آلاف لأن الواقف كان غنياً ولم يكن ليبني داراً مخصوصة لبضعة مئات . وقد خصص لها خازناً يدعى ابن الأقساس العلوي . وكانت هذه المكتبة مكان لقاء العلماء والباحثين . وكانت لهم فيها مناظرات ومناقشات علمية . ويذكر أن هذه المكتبة لم تعمر طويلاً ، حيث فك الواقف نفسه الوقف وباع المكتبة وأنفق ثمنها في الصدقات .

١١ – مكتبة ابن شاه مروان بالبصرة (٢٦):

قام الوزير أبو منصور ابن شاه مروان بين (٤٤٠ ه) و(٤٤٧ ه) وكان وزيراً للملك ابن أبي كاليجار الديلمي أمير البصرة وملك فارس في تلك الفترة – بوقف مجموعة من الكتب في دار خاصة بالبصرة ، يقال إنها كانت من أنفس الكتب وأعيانها . كان العلماء والدارسون يؤمونها للاستفادة منها ، إلا أن المكتبة لم تعمر طويلاً ، إذ قام الأعراب بإحراقها ونهبها سنة (٤٨٣ ه / ١٠٩٠ م) عندما هاجموا البصرة واستولوا عليها " ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً " على حسب تعبير ابن الأثير وبدر الدين العيني .

١٢ – خزانة مسجد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة:

ظلت هذه الخزانة عامرة حتي يومنا هذا ، وقد عني بها ووقف لها كثير من الوزراء والأمراء والعلماء من أشهر عضد الدولة البويهي (ت ٣٢٧ ه

) . وذكر ابن عيينه " أنه وجد مصحفاً في ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين (على بن أبي طالب عليه السلام) واحترق حين احترق المسجد سنة ٧٥٥ " (٢٧) . وقد وجد في الخزانة قطعة من مصحف مكتوب على ورق بخط كوفي وفي آخره (تم سنة أربعين من الهجرة كتبه على بن أبي طالب) وهو من ضمن خزانة كبيرة حافلة بأنواع الكتب النفيسة في علوم القرآن والحديث والفقه والأنساب والتفسير والآداب إلي جانب عدد كبير من المصاحف المزوقة – خاصة تلك المنسوخة بالخط الكفي فضلاً عن المصاحف المكتوبة بالخطوط الأخرى مع آلاف المخطوطات التي حفظت حتي وقت قريب . ومن بين تلك المخطوطات الهامة (المعتبر في الحكمة لآبي البركات هبة الدين على بن ملكا البغدادي وكتاب (التقريب لأبي حيان النحوي) الأندلسي (معجم الأدباء) لياقوت الحموي ، قيل أنه بخط مؤلفه(٢٨).

١٣ – مكتبة المدرسة النظامية ببغداد (٢٩) :

يقال بأن نظام الملك الوزير السلجوقي الأشهر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري هو أول من أسس مدرسة في الإسلام وعمل على نشر هذه المدارس في ربوع المدن الإسلامية الخاضعة للسلاجقة مثل بغداد أوصفهان ونيسابور والري ومرو وغيرها . وكانت تسمي جميعا النظامية نسبة إليه وهو أول من جعل التعليم عملاً تقوم به الدولة وليس عملاً تطوعياً كما كان من قبل . ويذهب البعض إلي اعتبار مدارس نظام الملك هذه بمثابة جامعات أو أكاديميات وليست مجرد مدارس لتعليم أساسيات العلم الديني والمدني .

ونظام الملك هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي ولد سنة (٤٠٨ ه / ١٠١٨ م) وعرف كيف يتقرب من الملوك السلاجقة وكيف يدير الدولة من خلالهم ، وقد كان أحد رجال الدولة المرموقي ، وقد كان شغوفاً بالعلوم والحضارة ، جمع حوله العلماء والباحثين . ولذلك فكر في إنشاء المدارس وبدأ بإنشاء مدرسة في بغداد على ضفاف دجلة قرب قصر الخليفة سنة (٤٥٧ه / ١٠٦٥ م) واستمر العمل فيها نحو عامين حتي افتتحت رسمياً سنة (٤٥٩ ه / ١٠٦٧ م) . وقد كان ضمن المبنى بناء خاص بالمكتبة عرف باسم دار الكتب أعطاها نظام الملك اهتماماً خاصاً ، زودها بكل غريب ونادر وقد كتب هو بنفسه كتاباً في الحديث أودعه في المكتبة عند زيارته الأولى لها سنة (٤٧٩ ه) . ومن حسن حظنا أن المؤرخين تناولوا المدرسة والمكتبة بشيء من التفصيل ووصلتنا عنها معلومات كثيرة.

هذه المدرسة درس فيها عدد من كبار العلماء كما تخرج فيها أيضا شخصيات فذة . ومن بين العلماء الذين حاضروا في هذه المدرسة الشيخ الإمام الغزالي ، الذي حاضر فيها أكثر من عامين وابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين الأيوبي ، كما زارها ابن جبير ووصفها في رحلته الشهيرة خلال الحروب الصليبية ، كما زارها ابن بطوطة في رحلته الشهيرة أيضاً سنة (١٣٢٧ م) كما وصفها الرحالة حمد الله المستوفي عندما زار بغداد سنة (١٣٤٠ م) . ومن حظنا أن المدرسة ومكتبتها قد نجيتا من الخراب والدمار الذي اجتاح بغداد على يد المغول (٦٥٦ ه / ١٢٥٨م).

لقد ضمت المكتبة أكثر من عشرة آلاف مجلد في موضوعات شتى إلا أنه غلب عليها علوم الفقه والسنة واللغة والأدب وعلم الكلام . وقد شغل منصب أمين المكتبة فيها علماء لهم شأنهم وخطرهم كان من أوائلهم أبو يوسف الإسفراييني : يعقوب بن سليمان بن داود المتوفى سنة (٤٨٨ ه / ١٠٩٥ م) ، الذي كان فقيهاً أديباً شاعراً خطاطاً . وعندما توفي جاء بعده الأبيوردي : أبو مظفر محمد بن أحمد ، وهو أديب مشهور يصفه ياقوت الرومي بأنه مكثر في التصانيف والتأليف يتمتع بشخصية ذات همة عالية وله طموحات أوصلته إلى السلطان محمد بن ملكشاه ، ملك خراسان ليصبح واحداً من رجال الدولة .

وكان من بين أمناء المكتبة المشهورين أيضاً الخطيب التبريزي : أبو زكريا ، يحيي بن علي بن محمد الشيباني ، وقد كان أديباً له العديد من الكتب المهمة وكان إلى جانب أمانة المكتبة يدرس الأدب والفلسفة في المدرسة . وقد توفي سنة (٥٠٢ه) وهو على رأس العمل .

كذلك تشير المصادر إلي أكرم الدين أبو سهيل كآخر أمين لهذه المكتبة ولكنها لا تحدد التواريخ التي عمل فيها وإن ذكرت أنه كان معاصراً للعماد الأصفهاني.

وفي سنة (٥١٠ ه) نشب حريق في المدرسة وسرعان ما قام الطلاب بنقل كتب المكتبة حماية لها من النار التي التهمت مبني المكتبة مما استوجب إعادة تشييده وإعادة ترتيب الكتب فيه على رفوف جديدة . ومع مرور الزمن أصاب المكتبة تصدع وإهمال مما جعل الخليفة العباسي الرابع والثلاثين الناصر لدين الله يأمر بإعادة إعمارها ونقل إليها ألوفاً من الكتب والمجلدات النفسية سنة (٥٨٩ ه / ١١٩٣ م) بل ويقال أنه بنى لها مبنى جديد. ولهذا نري المصادر تشير إلي مكتبتين في هذه المدرسة : مكتبة قديمة وهي التي بنيت مع مبني المدرسة عندما افتتحت في عهد نظام الملك ، ومكتبة جديدة هي التي أمر

بتشييدها أو إعمارها الخليفة الناصر لدين الله ، ويبدو أنها زودت بمجموعات كبيرة جديدة من مكتبة الخليفة الخاصة ، يقال إن الذي توفر على اختيارها مبشر بن أحمد بن علي الرازي ، أبو الرشيد الملقب بالبرهان وقد توفي في نفس السنة (٥٨٩ ه) .

ولأهمية هذه المكتبة كان الأمراء والوجهاء يوقفون عليها الكتب والأوقاف للإنفاق منها على أعمال المكتبة .

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن المدرسة النظامية كان الهدف الأساسي منها حسب قانون الوقف نشر المذهب الشافعي . وكان نص الوقفية يؤكد على أن من يتولى أمانة المكتبة لابد وأن يكون شافعياً ، بل وكل من يعمل بالمدرسة والمكتبة يجب أن يكون كذلك لدرجة أن أبا جعفر عمر بن أبي بكر بن عبيد الله الدباس تحول من المذهب الحنبلي إلي الشافعي حتي يجد وظيفة في المكتبة وبقي فيها حتي وفاته سنة (٦٠١ ه / ١٢٠٤ م) .

ولا نعرف مصير المكتبة أو المدرسة اللتين كان آخر ذكر لهما في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشرالميلادي) ، بعدما وصفها ابن الفرات المؤرخ المصري آنذاك بأنها أعظم مدارس بغداد .

ولقد كانت بغداد في أود حضارتها تحفل بالعديد من خزائن الكتب التي عنى بها العلماء والأدباء والوزراء وغيرهم على اختلاف معارفهم واهتماماتهم فكان الخلفاء والوزراء والولاة يقربون أصحاب التأليف والترجمات ويجزلون لهم العطاء لغرض التوسع في معرفة العلوم والآداب والفنون المختلفة . ولم تكن خزائن الكتب تهيأ وتنظم لفائدة ومصلحة أصحابها وحسب ، بل كانت خزائنهم في الغالب مفتوحة للطالب والراغب والصديق وخصوصاً من أصحاب العلم الآداب والمعرفة . " ويعتبر هذا النوع من المكتبات مع مكتبات المساجد أول أنواع المكتبات ظهوراً في الإسلام(٣٠).

وقد بلغت العديد من خزانات الكتب الخاصة بالوزراء والعلماء من الاتساع حجماً كبيراً وذلك في القرن الثالث الهجري واستمرت حتي القرن الخامس الهجري ومما يذكر أن السلطان نوح بن منصور الساماني استدعى الصاحب بن عباد ليوليه وزارته فكان ما اعتذر به أنه لا يستطيع نقل خزانته وأن عنده من كتب العلم ما يحصل على (أربعمائة جمل أو أكثر) وكان فهرس كتبه وحده يقع في عشر مجلدات ! وأن العالم البغدادي أبا بكر محمد البرقاني المحدث المشهور في القرن الخامس الهجري ، جمع كتباً كثيرة وأنه حين أراد الانتقال احتاج إلي (ستين) من الاعدال وإلي صندوقين ليحمل كتبه عند انتقاله (٣١).

الجدير بالذكر أن معظم المكتبات العراقية تم تدميرها بواسطة الحروب ، ومن أشهر الحروب التي تسببت في فقد وانهيار الكثير من المكتبات ما قام به الميديون بالهجوم على مدينة آشور سنة (٦١٤ ق.م) ، وفي نفس العام تقدم الجيش البابلي من الجنوب لاحتلال البلاد الآشورية ، فاتفقا الميديون مع البابليون وتوجا تحالفهما بزواج ملكي جمع ولي العهد البابلي " نبوخذ نصر " وابنة الملك الميدي " أميتس " ، وبعد حصار طويل سقطت الدولة الآشورية عام (٦١٠ ق.م) ، كما ذكرت المصادر أن الاسكندر عندما غزا بلاد الفرس ، وعثر على تلك المكتبات فقام بترجمتها إلي اليونانية ثم أمر بإحراقها (٣٢).

إن حرق الكتب وتدمير المكتبات هذه يعد استمراراً للكوارث التي يعيد التاريخ تكرارها ومنظرها منذ القدم ، فحين غزا المغول بغداد (دار السلام) عام (٦٥٦ ه / ١٢٥٨ م) أحرقوا الكتب والمكتبات ورموا بالآلاف من الكتب الى نهر دجلة الذي تحول لونه أزرقاً وأسوداً من كثرة الحبر الذي كتبت به الكتب "وبنوا إسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن".(٣٣)

الخاتمـــة :

لقد حاولنا التعرف على مصائر المكتبات الإسلامية في العصرين الاموي والعباسي في الحواضر العراقية الثلاثة(البصرة _بغداد_ الكوفة) من خلال تتبع اسباب ومظاهر تدهور اوضاع المكتبات الإسلامية والتفريط في محتوياتها حتى اختفت من الوجود خاصة في الفترة الاخيرة من حكم الامويين ونهاية الدولة العباسية على يد المغول . وكان ذلك نتيجة سوء ادارة بعض القائمين على المكتبات واستغلال بعض القضاة والعلماء لها ونهب موجوداتها . هذا فضلاً عن تدهور اغلب المكتبات إما نتيجة لفقدها مصدر تمويلها وهو ريع الوقف لسبب من الاسباب ، أو بفعل عوامل الجو الطبيعية . كما ابرزنا مدى تأثير الغزو المغولي للعراق على المكتبات الاسلامية وما تعرضت له من سلب ونهب من قبل الغزاة والعوام.

النتائج والتوصيات :

ولعل من اهم النتائج التي خرجنا بها من هذا البحث هي ما يلي :

١ – العلاقة الطردية بين احوال المجتمع والمكتبات. فقد تبين ان الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والنشاط الاجتماعي والتقدم العلمي ،الذي عاشه العراق إبان العصر الاموي والعصر العباسي، كان له انعكاساته الطيبة وتأثيره الايجابي على تقدم

النهضة المكتبية والعكس صحيح أثناء فترة الغزو المغولي للعراق .فقد عانت الحركة المكتبية كثيراً بسبب تدهور الاحوال.

٢ – تم تدمير معظم المكتبات العراقية بواسطة الحروب التي كانت ظاهرة جلية إبيان العصر الأموي والعباسي في العراق وظهر ذلك بصفة خاصة بعد سقوط بغداد على يد المغول عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م).

٣ – كان حرق وتدمير الكتب المكتبات استمراراً للكوارث التي كان لها أثر كبير في تحديد مصير المكتبات في العراق في العصر الأموي والعباسي مما أدي إلي هلاك معظم هذه المكتبات مما أثر سلباً على الحركة العلمية والفكرية في خلال هذه الفترة .

٤ – وجود علاقة طردية كبيرة بين تطور حال الكتب وحال المكتبات فكلما ازداد ازدهار حركة الكتب والتأليف كلما عاد ذلك على المكتبات بالكثرة والتعداد وامتلاء الأرفف بشتي مختلف أنواع العلوم وظهر ذلك في العصر العباسي بصفة خاصة نظراً لتطور حال الكتب والتأليف في شتى المجالات الفكرية والعلمية .

وعلى الرغم من أن منهج البحث التاريخي لا يستلزم تقديم مقترحات وحلول لمعالجة القضايا والمشكلات التي كانت تمر بها الحدود المكانية للدراسة إلا أن هذه الدراسة – بحكم صلتها بتاريخنا وتراثنا من ناحية ، وبحكم ارتباطها العضوي والوثيق بالحركة المكتبية بمفهومها الدقيق للمعنيين بعمل المكتبات من ناحية أخرى – فيه ما يمكن تقديمه كتوصيات نري إمكانية الاستفادة منها في حياتنا المكتبية المعاصرة نجملها فيما يلي:

١ – إذا كانت الحركة المكتبية قد غزت جميع مرافق الحياة في العصر الأموي والعباسي ، وذلك إيماناً من رجال ذلك العصر بأهمية المكتبات كأداة تعليمية تربوية ، فوفروا لها جميع عناصر تقديم الخدمة اعتماداً على الوقف كمورد مالي رئيسي للانفاق على المبني والتجهيزات والقوي البشرية والإجراءات الفنية والخدمات وغيرها ،وإذا كانت مكتباتنا اليوم تعاني من تدهور الخدمات بسبب ضعف الميزانيات التي لم تعد تفي بتحقيق الحد الأدنى من الخدمات الأساسية للمكتبة وبسبب الحروب والحالة الاقتصادية الغير مستقرة ، لذلك نرى ضرورة العودة إلي نظام الوقف الخيري كمورد مالي أبدي يكون سبيلاً نحو بناء حركة مكتبية نشطة ، كما كانت عليه في العصر الأموي والعباسي ، وهو ما يتطلب نشر الوعي لدي القاعدة العريضة من أبناء الشعب وخاصة الأثرياء منهم والعلماء بأهمية مشاركتهم في دعم وتمويل المكتبات ، وأن تتحمل نصيبها في خدمة المجتمع .

٢ – تعميق الوعي لدي الدارسين والباحثين المعاصرين بالتجربة العربية في مجال المكتبات بصفة عامة ، والمكتبات في العصر الأموي والعباسي بصفة خاصة ، والتأكيد على الدور الحضاري لها والذي نعتبره القاعدة التي انطلقت منها الحضارة العربية الإسلامية والتي نفخر بها حتي اليوم والتي أسهمت في الحقبة الوسيطة من التاريخ في خروج أوروبا من عصر الظلمات إلي عصر النور . وإذا كان لنا من سبيل لبعث نهضتنا الحضارية فلنبدأ من المكتبة ، وعاء العلم والمعرفة كما فعل أسلافنا .

٣ – إذا كانت هذه الدراسة قد انصبت علي حركة المكتبات في العصر الأموي والعصر العباسي في العراق ، فهناك أيضاً نهضة مكتبية رائعة في بلاد الشام ومصر في هذا العصر أيضاً ، تستحق الدراسة . كما أنه في مصر أيضاً إبان فترة الحكم العثماني عقب هزيمة المماليك حتي بداية الحملة الفرنسية لم تدرس بعد رغم وفرة المصادر التي تعج بالنصوص الخاصة بتاريخ المكتبات وقتذاك . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري ، فإن تاريخ المكتبات في المغرب العربي يمثل حقلاً خصيباً للبحث . ومن ثم فالدرس المستخلص من التجربة في ضوء ما ذكرنا يمكن أن يكون أغني وأثمن .

الهوامش :

١) إبراهيم الزيد / دور المكتبات في بناء الحضارات الإنسانية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٦

٢) كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتي سنة ١٠٠٠ للهجرة ، ط٢ (لبنان ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٦) ص ٩ .

٣) فؤاد يوسف قزانجي ، الكتب والمكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٤٩ .

٤) أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الإنشا (ط. دار الكتب) مج ٢ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٢ ، ص ٤٣٠ – ٤٧٧ .

٥) عماد عبد السلام ، " ملامح في نظام مدارس العراق ابان العصر العباسي " دراسات في مكانة الاستاذ في التراث ، بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٢١ – ١٢٢ .

٦) زكي محمد حسن ، مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي ، بغداد ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٢ ، ص ١٤ – ١٨ .

٧) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ، ط وستنفلد ، دار صادر ، بيروت ، دون سنة نشر، ص ٣٦٠ .
٨) حسن حمادة، الكتاب فى المشروع النهضوى للامام الشيرازى، مجلة النبأ، العدد ٦٥، يناير ٢٠٠٢.
٩) سعيد أحمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤، ص ٩٣ .
١٠) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٢ ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٩.
١١) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص ٢٥١.
١٢) ابن النديم ، أبو الفرج ، كتاب الفهرست ، تحقيق كوستاف فلوجل . بيروت ، دار الخياط ، ١٩٦٤ ، ص ١٣ .
١٣) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦.
14) "Bay.t al-Hikma " , in encyclopaedia of Islam , edited by H.A.R.Gibb , J.H. H. Kramers , E.L. Vi-provercal London Luzc , 1960 , Vol. I P. 1141.
١٥) سعيد الديوه جي ، بيت الحكمة ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ ، ص ٣٢ .
١٦) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧.
١٧) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور القديمة ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٩ – ١٥١ .
١٨) إيمان عماد الدين أمين محمد ، الكوارث والأزمات في المكتبات ومراكز المعلومات : دراسة تاريخية وميدانية ، رسالة ماجستير ، (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ٢٠١٣) ، ص ٦١ – ٦٤
١٩) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨١ – ٢٩٣ .
٢٠) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .
٢١) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ – ٣١٩ .
٢٢) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠.
٢٣) شعبان عبد العزيز خليفة ، المرجع السابق ، ص ٣٢١.
٢٤) محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، الرياض ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٠ ، ص ٨٦ .
٢٥) حسين أمين ، " الحياة الثقافية في العصر البويهي " ، مجلة الأستاذ عدد ١٦ ، (١٩٦٨ – ١٩٦٩) ، ص ٢٨ .
٢٦) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢.
٢٧) ابن عيينه العلوي ، (ت ٨٢٨ ه) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، النجف ، المطبعة الغروية ، ١٩٣٩ ، ص ٥ .
٢٨) آل محبوبة النجفي ، الشيخ جعفر بن الشيخ باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٤ ، ص ٨١ .
٢٩) شعبان عبد العزيز خليفة : المرجع السابق ، ص ٣٢٣.
٣٠) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٤.
٣١) شعبان عبد العزيز خليفة : المرجع السابق ، ص ٣٢٨.
32) Black , Jeremy (2004) : Lost Libraries of Ancient Mesopotamia . In : Lost libraries : The Destruction of Great Book Collections since Antiquity . P.41 – 57
٣٣) كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتي سنة ١٠٠٠ للهجرة ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

قائمة المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

١) إبراهيم الزيد / دور المكتبات في بناء الحضارات الإنسانية ، ٢٠٠٧ .
٢) ابن النديم ، أبو الفرج ، كتاب الفهرست ، تحقيق كوستاف فلوجل . بيروت ، دار الخياط ، ١٩٦٤ .
٣) ابن عيينه العلوي ، (ت ٨٢٨ ه) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، النجف، المطبعة الغروية ، ١٩٣٩ .
٤) أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الإنشا (ط. دار الكتب) ط٢ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٢
٥) إيمان عماد الدين أمين محمد، الكوارث والأزمات في المكتبات ومراكز المعلومات : دراسة تاريخية وميدانية، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ٢٠١٣) .
٦) جعفر بن الشيخ باقر آل محبوبة النجفي ، ماضي النجف وحاضرها ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٤ .
٧) حسن حمادة، الكتاب في المشروع النهضوى للامام الشيرازى، مجلة النبأ، العدد ٦٥، يناير ٢٠٠٢.
٨) حسين أمين ، " الحياة الثقافية في العصر البويهي " ، مجلة الأستاذ عدد ١٦ ، (١٩٦٨ – ١٩٦٩) .

٩) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ، ط وستنفلد ، دار صادر ، بيروت ، دون سنة نشر .
١٠) زكي محمد حسن ، مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي ، بغداد ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٢ .
١١) سعيد أحمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤.
١٢) سعيد الديوه جي ، بيت الحكمة ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .
١٣) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٢ ، ٢٠٠١ .
١٤) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور القديمة ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ .
١٥) عماد عبد السلام ، " ملامح في نظام مدارس العراق ابان العصر العباسي " دراسات في مكانة الاستاذ في التراث ، بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
١٦) فؤاد يوسف قزانجي ، الكتب والمكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١ .
١٧) كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتي سنة ١٠٠٠ للهجرة ، ط٢(لبنان ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٦)
١٨) محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، الرياض ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٠ .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

19) "Bay.t al-Hikma " , in encyclopaedia of Islam , edited by H.A.R.Gibb , J.H. H. Kramers , E.L. Vi-provercal London Luzc , 1960 , Vol. I P. 1141.
20) Black , Jeremy (2004) : Lost Libraries of Ancient Mesopotamia . In : Lost libraries : The Destruction of Great Book Collections since Antiquity . P.41 – 57